

بعد سقوط الأسد.. ماذا تعني سوريا للعالم ؟

09-12-2024

الكتاب

زريان روجهلاتي

ملخص : قبل اقل من شهر كان الأسد يعطي نصائح للدول الإسلامية في إجتماع جامعة الدول العربية! وذلك يؤكد المقولة التي تقول " في الأنظمة الشمولية، يبدو كل شيء طبيعيًا حتى 15 دقيقة قبل أن تنهار" كان كل شيء يبدو طبيعيًا حتى ربع ساعة بالضبط قبل سيطرة هيئة تحرير الشام وحلفائها على حلب في 27 نوفمبر والمدن لأخرى واحدة تلو الأخرى مثل احجار الدومينو.

في الأيام الأخيرة اردت ان اكتب حول تأثيرات سقوط حلب ومتطلبات استعداد العالم لمرحلة ما بعد الأسد. لكن حينما كنت انا اجمع المعلومات سقطت دمشق وقبل ان اكتب انا مقالتي سقط الأسد. سرعة احداث سوريا لم تكن مفاجئة لكتابتي فحسب بل كانت نموذجاً حياً للتغفيل السياسي والعسكري الحاصل في العالم اليوم.

قبل اقل من شهر كان الأسد يعطي نضائح للدول الإسلامية في إجتماع جامعة الدول العربية! وذلك يؤكد المقولة التي تقول " في الأنظمة الشمولية، يبدو كل شيء طبيعياً حتى 15 دقيقة قبل أن تنهار" كان كل شيء يبدو طبيعياً حتى ربع ساعة بالضبط قبل سيطرة هيئة تحرير الشام وحلفائها على حلب في 27 نوفمبر والمدن لأخرى واحدة تلو الأخرى مثل احجار الدومينو.

لحد أمس كان اعداء وحلفاء الأسد من إيران وحتى روسيا واميركا يطالبون بحوار نظام الأسد والمعارضة ويمكن ان نعتبر ذلك دليلاً على عدم رغبتهم بتسليم الأسد السلطة عن طريق القوة. ورغم أن بدء الحوار كان يعني رحيله، لكن بشكل متفقد عليه ومنضبط.

وهنا نتساءل ماذا يعني سقوط الأسد بالقوة بالنسبة لسوريا؟

بالنسبة لروسيا، يشكل هذا تهديداً مباشراً لمصالحها، وخاصة قواعدها العسكرية على الساحل السوري في اللاذقية وطرطوس. وربما كان هذا أحد أسباب إجماعه عن مساعدة الأسد. على الأقل بهدف إبقاء فرصة للحوار مع هيئة تحرير الشام. من المرجح سيكون وضع سوريا نموذجاً لإستفزاز روسيا من قبل اوكرانيا والدول الأوروبية في اماكن اخرى مثل افريقيا او جمهوريات الإتحاد السوفيتي سابقاً.

بالنسبة لإسرائيل والولايات المتحدة هذا خبر جيد وسيء في آن واحد. فسقوط الأسد يرفع احتمالية تشكيل دولة متطرفة جارة اخرى لإسرائيل، وهو أمر قد لا يحظى بشعبية لدى واشنطن وتل أبيب، ولكن مع رحيل الأسد، فإن احتمالات إعادة تسليح وتعزيز حماس وحزب الله سوف تتضاءل، على الأقل في المدى القصير.

يمثل سقوط الأسد الضربة السياسية والعسكرية الثالثة لإيران خلال العام الماضي، بعد الحربين في غزة ولبنان. ومع رحيل الأسد، فإن الممر البري الإيراني العراقي إلى سوريا ومن هناك إلى لبنان والبحر الأبيض المتوسط سوف يكون مغلقاً أو سيصبح صعباً للغاية والتي جبهة المقاومة تعمل من أجلها منذ سنوات. وهذا العام، عززت أنباء الاتفاق الأمريكي العراقي بشأن اتفاق الانسحاب المقرر استكمالها بحلول عام 2026 آمال إيران في الممر الذي يمتد من ثلاث نقاط على الحدود العراقية إلى سوريا. ويشكل هذا الارتباط الجغرافي جزءاً من استراتيجية إيران العسكرية لإحياء مجموعاتها الوكيلية كوسيلة لموازنة القوة والنفوذ الإقليمية.

نقطة أخرى هي؛ إذا نظرت إلى الأمر من وجهة النظر الأيديولوجية لبعض السياسيين الشيعة، قد يكون سقوط الأسد من خلال نافذة علم الأمور الأخيرة الإسلامي. تم التنبؤ بالعديد من المعارك الصوفية في سوريا على طول نهر الفرات ويُنظر إليها على أنها فتنة قبل مجيء الإمام المهدي. ولذلك فإن سياسة إيران ستكون على الأرجح؛ وحتى بعد الأسد، ينبغي أن يكون لها دور في سوريا. وربما لا يكون أمامه خيار سوى ترك الأكراد، ولكن يتعين عليه أن ينتظر بدوره ليرى إلى أين ستقود سياسات تركيا والولايات المتحدة في التعامل مع حزب الله.

وكان الرئيس التركي يأمل أن يستمر تقدم المعارضة نحو دمشق دون أي كارثة، لكن الإطاحة الكاملة بالأسد لم تكن خياراً لم يعجبه تركيا وربما كان أداة ضغط، لأنه كان يوماً بعد طلب إيران الحوار بين الأسد والمعارضة. قد يمهد سقوط الأسد في الحرب الطريق أمام إدارة ذاتية أكثر استقراراً، على الأقل في الجزء الشرقي من نهر الفرات، وهو ما قد لا يكون خيار تركيا الحالي. قد لا ترغب الولايات المتحدة وإسرائيل وروسيا في إقامة دولة إسلامية قوية في سوريا، لذا فإن التقسيم الإداري هو الخيار الأفضل بالنسبة لهم. على سبيل المثال، فإن إدارة علوية سنية كردية ستخدم مصالح الجميع.

وفي المرحلة المقبلة، فإن احتمال نشوب حرب بين حزب الله وهيئة تحرير الشام والجيش الوطني السوري للسيطرة على الأرض والسلطة مفتوح، مما قد يخلق موجة أخرى من الهجرة إلى تركيا، وهو أمر ما تريده أنقرة في هذا الوقت.

ومن ناحية أخرى، فإن التعزيز المفرط لهيئة تحرير الشام يمكن أن يسبب مشاكل لتركيا في المستقبل. وقال لي مصدر عراقي طلب عدم الكشف عن هويته: "لقد عرفنا منذ شهر أن شيئاً ما سيحدث، لكننا ما زلنا غير متأكدين مما إذا كان هذا كله فعل تركيا". إذا سقط الأسد فإن هبة تحرير الشام ستكون قوية لدرجة أن تركيا ستفقد السيطرة على الوضع!

والنقطة الأخرى هي أن تعزيز الوضع الحالي في سوريا وهيئة تحرير الشام يعني زيادة نفوذ تركيا الإقليمي في سوريا والعراق، وذلك في حين عودة ترامب، وهو ما قد يدفع إيران وروسيا وحتى العراق إلى حد ما إلى دعم قوات سوريا الديمقراطية في سوريا لخلق مشاكل لتركيا. ولذلك فإن سقوط الأسد قد يجبر تركيا على النظر أخيراً في خيار الحوار مع قوات سوريا الديمقراطية، خاصة وأن الحوار مع أوجلان أصبح موضوعاً ساخناً داخل البلاد.

ولاً؛ ولا يمكن تفسير التقدم الذي أحرزته المجموعات الرئيسية الثلاث لمعارضى الأسد (هيئة تحرير الشام، وجيش العزة، وأحرار الشام) بالأسباب العسكرية وحدها. وهذا عامل مهم للغاية، لكن في نهاية المطاف التراجع عن حملة القمع التي شنّها الأسد على المتظاهرين بعد عام 2011 ولاحقاً بمساعدة حزب الله وإيران وروسيا ضد المعارضة ذات الأغلبية السنية أدى الى هذا الانفجار. ومهما كانت التنظيمات، سواء كان هناك تدخل خارجي أم لا، يمكن رؤيتها داخلياً نتيجة تهميش المجتمع السوري، وخاصة في المناطق السنية. وقد يؤدي هذا الوضع أيضاً إلى زيادة رغبة السنة العراقيين في لعب دور أكبر في السياسة العراقية. وعلى الرغم من قلة الحديث عن السنية أو الشيعية في العراق اليوم، فإن قضية الهوية لها جذور تعود إلى مئات السنين، ومن المرجح دائماً أن تعود إلى الظهور إذا لم يجمع النظام الديمقراطي الشامل الجميع معاً.

تتعلم المنظمات غير الحكومية من بعضها البعض وقد يصبح الوضع العسكري لهيئة تحرير الشام نموذجاً جديداً للمنظمات غير الحكومية السنية المسلحة في الوسط، والتي لها أيضاً علاقات بالعراق، قبل كل شيء نجحت هيئة تحرير الشام في انتزاع احتكار استخدام الطائرات بدون طيار من أيدي الجماعات الشيعية المسلحة. وبعد أن برزت الجماعات المسلحة الشيعية في الشرق الأوسط، بمساعدة وتدريب جهة حكومية، باعتبارها المستخدم الوحيد المهم والمؤثر للمسيرات والصواريخ، برزت هيئة تحرير الشام هذه المرة كقوة سنية لديها مسيرات داخل سوريا. الآن لا يهم ما إذا كانت هيئة تحرير الشام قد طورت قدراتها المسيرية بنفسها أو ما إذا كانت دولة ما قد دعمتها، ولكنها قد اكتسبت القدرة على استخدام المسيرات بشكل فعال، الأمر الذي لعب عامل تغيير قواعد اللعبة، على الأقل في سوريا. وكان استهداف بعض المقرات العسكرية وحتى الأشخاص المهمين بالطائرات بدون طيار علامة على ذلك.

وبالإضافة إلى الإغفال العسكري الذي بدأ بهجوم 27 تشرين الثاني، أظهرت هيئة تحرير الشام حتى الآن أنها تريد تمييز نفسها عن الجماعات الجهادية الأخرى من حيث التكتيكات والاستراتيجيات العسكرية. أخبرني خبير في شؤون الجماعات المسلحة السورية أنه منذ عام 2020، ترجمت هيئة تحرير الشام أكثر من 100 كتاب عن الحرب وأساليب الحرب، وحسّنت معرفتها بالحرب، وأنشأت أكاديمية عسكرية.

وبعيداً عن طرق الحرب على الأرض، فإن رسائل الجولاني للإلغاء التهديد في المستقبل، وحتى رسائله إلى إيران والعراق، اللتين لا يريد أن تحدث مشاكل معهما، كلها ترفض الاستراتيجية الجهادية العالمية، وبدلاً من ذلك، يحاول تعريفها على أنها جماعة جهادية على مستوى دولة واحدة. لقد واجهت السياسات الجهادية العالمية لتنظيمي داعش والقاعدة مقاومة عالمية كبيرة، لذلك إذا نجحت استراتيجية الجولاني، فقد تقلدها مجموعات أخرى.

وبطبيعة الحال فإن التهديد الأكثر وشيئاً للعراق؛ مستقبل معسكرات الهول والروج والاعتقال التابعة لقوات سوريا الديمقراطية يقع على عاتق ما بين 350 إلى 400 مقاتل من داعش في الصحراء السورية. إذا تصاعدت الحرب الأهلية السورية أو اندلع القتال في المناطق الخاضعة لسيطرة قوات سوريا الديمقراطية، فإن مستقبل المعسكرات والسجون سيكون مصدر خطر على العراق. وبالإضافة إلى مخاوفه بشأن الوضع في سوريا، قد يشعر العراق بالقلق من أن النفوذ التركي المتزايد سيكون له تأثير على الوضع في إقليم كردستان، خاصة إذا حققت تقدماً عسكرياً بحجة حزب العمال الكردستاني.